اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

فمن ذلك قولهُ في مادة (أ ت ن) الأَتُّون كتنُّور وقد يخفَّف اخدود الجيّار والجَصّاص . وفي مادة (ج ي ر) الجيّار الصاروج ولم يزد عليهِ وفسّر الصاروج في موضعهِ بالنورة واخلاطها . وفي لسان العرب الجير الجصّ فاذا خُلط بالنُورة فهو الجيّار . اه . وليس الجيّار المذكور في تعريف الأَتُّون بهذا المعنى انما المراد بهِ صانع الجير كما ان المراد بالجصّاص صانع الجصّ . قال في القاموس الجص معروف والجُصّاص متخذهُ واحسن منهُ ما جآء في لسان العرب قال الجِصّ والجَصّ معروف الذي يُطلَى بهِ . . ورجل جَصّاص صانعٌ للجِصّ . اه . ولا يخفى ان هذه الصيغة اي صيغة فَعّال كثيراً ما تجيء بمعنى صانع الشيء كالأَبّار لصانع الإِبَر والسَرّاج لصانع السروج والزَجّاج لصانع الزُجاج والخَزّاف لصانع الخَزَف وغير ذلك . على ان ما ذكرناهُ عن القاموس هو عين ما تجدهُ في لسان العرب مع ما عُلم من توخّيهِ الاحاطة بنصوص اشهر المؤلفين قبلهُ فانهُ مع تفسيرهِ الاتون باخدود الجيّار لم يزد في تفسير الجَيّار على ما رأيت ومن هنا يتبيّن انهم كانوا اشدّ ما يحرصون على اثبات اصول الموادّ الدائرة في استعمال العرب ولا يبالون دائماً بتتبع المشتقّات اذا كانت مما يُتناول بالقياس

وفي مادّة (م ق ل) المُقل الكُندُر الذي يتدخن بهِ اليهود . يريد بيتدخن يتبخر ولم يذكر تدخَّن في موضعهِ لكن جآء ذكر التدخين هناك

فلتةً في تفسير الدُخنة . وفي لسان العرب الدُخنة بَخُور يُدخَّن بهِ الثياب وقد تدخَّن بها ودخَّن غيره ُ . اه . وظاهره ُ ان التدخين بهذا المعنى خاصٌّ بالدُخنة وكانهُ مشتقٌّ منها كما تقول قطَّر ثوبهُ اذا بخَّره ُ بالقُطر وهو العود والصحيح ان كليهما مشتقٌّ من الدخان ويراد بالتدخين مطلق التبخير . قال في اللسان في مادة (ب خ ر) وتبخَّر بالطيب ونحوهِ تدخَّن فلم يقيّده ُ بالدخنة ولا غيرها لكن كان عليهِ ان يقول تبخر بالعود ونحوهِ اي مما يُحرَق حتى يكون لهُ دخان لانهُ لا يقال تبخَّر بدهن الورد مثلاً ولا تدخَّن بهِ

وفي مادّة (ر و غ) وهذه رِواغتهم ورياغتهم بكسرهما اي مُصطرَعهم. يريد بالمُصطرَع مكان الاصطراع اي التصارُع ولم يذكر الاصطراع في موضعهِ كما انهُ لم يذكر المصارعة ولكن جآء ذكرهما فلتةً ايضاً عند تفسير الصِرع قال والصِرع بالكسر المصارع يقال هما صِرعان اي مصطرعان. الا ان هذا من الابنية التي تقاس في معنى المشاركة لان الافتعال كثيراً ما يجيء بمعنى التفاعُل كما يقال اقتتل القوم واختصموا واصطلحوا واصطحبوا وغير ذلك . وفي اللسان وقد تصارع القوم واصطرعوا وصارَعَهُ مصارعةً وصِراعاً والصِرعان المصطرِعان فنصّ على ذلك كلهِ كما ترى

وفي مادّة (ج ر ر) الجرّ شيء يتخذ من سُلاخة عرقوب البعير ولم يذكر السُلاخة في موضعها كما اننا لم نجدها في شيء من الكتب التي بين يدينا الا انها من الالفاظ التي تقاس على حدّ النُسالة والقُراضة والقُصاصة والقُلامة وما اشبه ذلك وقد استوفينا الكلام على هذه الصيغة في مقالة اللغة والعصر

وفي مادة (ح ن ق) أَحنَق الزرع انتشر سَفا سنبلهِ بعد ما يقنبع ولم يذكر في مادّة (ق ن ب ع) الا قولهُ القُنْبُع كقُنفُذ وعآء الحنطة . وفي لسان العرب قُنبُع النَوْر وقُنبُعتهُ غطآؤهُ وقنبعت الشجرة صارت ثمرتها او زهرتها في قنبعة او غطآء وقال ابو حنيفة القنبع وعآء السنبلة وقنبعت صارت في القنبع اه . ولا يخفى ان هذا ايضاً من الالفاظ المقيسة كما يقال برعمت الشجرة اذا خرجت براعمها وهي اكمام الثمر وعسلجت اذا خرجت عساليجها وهي ما لان واخضرّ من القضبان ونوّرت اذا ظهر نَورها اي زهرها وزَغَّب الفرخ اذا ظهر زَغَبهُ وهو اول ما يبدو من ريشهِ وزَبَّد شدق الغضبان اذا خرج عليهِ الزَبَد وغير ذلك

وفي مادة (س م م) في الكلام على السمسم وقد يُسقَى المفلوج من نصف درهم الى درهم فيبرأ والدرهم خَطِر . ومثلهُ في مادّة (ش ب ر م) في الكلام على الشُبرُم واستعمال لبنهِ خَطِر . وضُبط خَطِر في الموضعين بفتح فكسر ولم نجد هذا اللفظ في شيء من كتب اللغة والظاهر انهُ بناهُ على خطَر ذهاباً الى انهُ مصدر على حدّ الحذَر والتعَب وان لم يُحكَ منهُ فعل لانهُ لا يقال خطِرَ الامرُ اي صار ذا خطَر . ويجوز ان يكون من باب فعِل بمعنى ذي كذا كما يقال رجلٌ عَمِل اي ذو عمَل ورجلٌ طَعِم ولَبِس اي ذو طعام وذو لباس وغير ذلك . وهذا الضرب من الصفات لا يلزمهُ ان يجري على لفظ الفعل بل كثيراً ما يُشتقّ من الجامد كقولهم رجلٌ نَهِر اي يعمل بالنهار ومكانٌ صَخِر اي ذو صخور وارضٌ سَهِلة اي ذات سِهلة بالكسر وهي ترابٌ كالرمل يجيء بهِ المآء . قلنا واشتهر في لسان العامة

مريضٌ مُخطِر وقد أَخطَر المريض وهذا مع انهُ غير محكيٍّ لا يعدم وجهاً من القياس ايضاً لان افعل يأتي بمعنى دخل في الشيء او حصل فيهِ كما تقول أَصبَح المسافر اي دخل في الصباح وأَسهل الراكب اي صار في السهل ومن هذا القبيل قولهم اكدى الحافر اي بلغ الكُدْية وهي الارض الصُلبة وأَحصَد الزرع اي بلغ ان يُحصَد فيكون قولهم أَخطَر المريض بمعنى دخل في الخطر او بلغهُ وما احرى هذا اللفظ باستعمال الفصحاء ولو لم يذكرهُ اللغويون لجريهِ على قياس اللغة كما ترى

وفي مادة (ب ظ ر) البَظْرة حلقة الخاتم بلا كرسيّ ومثلهُ في لسان العرب ولا ذكر للكرسيّ في موضعهِ بالمعنى المقصود هنا . وقد فسر عاصم الكرسيّ بفصّ الخاتم ولايخلو من بُعد لفقد الجامع في هذه التسمية بل الذي يدلّ عليهِ معنى اللفظة ان المراد بهِ موضع الفصّ من الخاتم لانهُ الموضع الذي يركَّب فيهِ ويستقرّ عليهِ على حدّ قولهم كرسيّ المُصحَف وعلى حدّ اطلاقهم السرير على مُستَقَرّ الرأس من العنق والعتَبة على الخشبة المعروضة التي تُمَدّ عليها او تار العود وما اشبه ذلك

ومن هذا القبيل رِجل الباب ذكرها صاحب القاموس في مادّة (ن ج ر) في تعريف النجران قال هو الخشبة التي فيها رجل الباب ولم يذكر هذا المعنى للرجل في موضعها وهي استعارةٌ من رجل الحيوان والجامع فيها ظاهر

وجاء في مادة (ك و ب) الكُوب كوزٌ لا عروة لهُ ولا خرطوم . يريد بالخرطوم الانبوب الذي ينصبّ منهُ الماء يكون في جانب رأسهِ ولم يذكر للخرطوم هذا المعنى في موضعهِ ولكنهُ مستعارٌ من خرطوم السبع

ونحوهِ بجامع الهيئة

وفي مادة (ح ث ر) حثِرَ الجلد بَثِرَ والعين خرج في اجفانها حَبٌّ احمر وزاد في الصحاح وهو بثرٌ يخرج في الاجفان . الا ان كليهما لم يذكر الحَبّ في موضعهِ بهذا المعنى ولذلك عدّهُ صاحب محيط المحيط عاميّاً وحذفهُ صاحب اقرب الموارد على عادتهِ في حذف ما يمرّ بهِ في محيط المحيط من الالفاظ العامية . . . وانما هو مستعارٌ من حبّ النبات لما بينهما من المشابهة كما لا يخفى

وجآء في هذه المادّة حثِرَ العسل تحبَّب ليفسد وحثَّر الدوآءَ تحثيراً حبَّبهُ . يريد بحببهُ صيَّرهُ حَبّاً ولم يذكر الحَبّ هناك بهذا المعنى كما انهُ لم يذكر حبَّب الدوآءَ ولا تحبَّب العسل ولكن كل ذلك مأخوذ بالقياس فالاول على المجاز على نحو ما ذكرناهُ قريباً والفعلان على الاشتقاق كما يقال لبَّن الطين اذا ضربهُ لَبِناً وتأجلت الظبآء اذا تجمعت آجالاً اي قُطعاناً ونحو ذلك (ستأتي البقية)

الجوَلان في النوم

ما زال امر الرُؤَى الليلية من الامور الغامضة التي لم يتوصل الحكمآء الى حلّها بما يكشف عن سرّها ويعلل كيفية حدوثها. ومن اغرب اطوارها ما يعرض لبعض الناس ان ينهض من فراشهِ وهو نائم ويسعى من موضع الى آخر ويفعل افعالاً شتى قد لا يصدر مثلها الا عن ارادةٍ وتعقل وشعورٍ تام حتى لا يشكُّ من يشاهدهُ في تلك الحال انهُ مستيقظ . ويُروَى في

ذلك حكاياتٌ غريبة منها ان رجلاً كان يحترف صناعة البناء وكان اذا عاد عند المساء يضع اجرتهُ في خزانةٍ في بيتهِ وكان اذا نهض في الصباح والتمس الاجرة لا يجدها. وتمادى الامر على ذلك اياماً حتى اشتدت حيرتهُ ولم يجد من يتهمهُ الا زوجتهُ . فلما كان في احدى الليالي وقد نام كعادتهِ لبثت زوجتهُ ساهرةً لترى من يسرق المال فما مضى الا القليل حتى رأت زوجها قد نهض من فراشهِ وفتح الخزانة فأخذ منها ما اودعهُ ذلك المساء وفتح الباب وخرج فتبعتهُ فسار حتى بلغ حائطاً فتسلقهُ وأخذ يمشي عليهِ وهو غير متحذر كأنهُ يمشي على الارض ولما بلغ آخرهُ نزل فمشى في بستانٍ هناك حتى انتهى الى شجرةٍ فحفر عند اصلها وطمر الدراهم ثم نهض وحوّل وجههُ ليرجع . وكانت المرأة خلفهُ فأمسكت بهِ ومنعتهُ من الانصراف فاستيقظ ونظر حولهُ فاستغرب وجودهما في ذلك المكان وقال ما الذي اتى بنا الى هنا فقالت تعالَ ادلّك على المال واخذا يحفران فوجدا هناك مبلغاً كبيراً مدفوناً تحت الارض

اما ما ذهبوا اليهِ في تعليل ذلك فذكر ولتر سكوت ان الحواس تكون حينئذٍ نائمةً نصف نوم بحيث ان صاحب هذه الحال يشعر بمكان وجودهِ لكنهُ لا يكون تام الانتباه حتى يستطيع ان يميز ما حولهُ بجلاء. وقال غيرهُ انهُ حتى حين تكون عيناهُ مغمضتين يشعر بقوة النور الى حدٍ لا يشعر بهِ في حال اليقظة وفضلاً عن ذلك يكون حسّ اللمس فيهِ على اشدّ التنبُّه وبهِ يتقي ما يتعرض لهُ من الاخطار كالمشي على سطوح المنازل وشواطئ الانهار ولكن لا يكون ذلك في الاماكن التي عرفها من قبل فلا يخطئ جهاتها ولا يضلّ في سلوكها . وبهذا التنبُّه الشديد في حسّهِ يتأتى لهُ

ان يفعل افعالاً اعجب مما ذُكر فيقرأ ويكتب كتابةً في نهاية الضبط من نثر ونظم وقطع موسيقية ويميز ادقّ الاشياء ويتخير ما يوافق غرضهُ منها مما يحتاج في حال اليقظة الى فحص دقيق بحاسّة البصر لادراك الفرق بينها . وقد رُوِي عن لافونتان انهُ كتب احدى حكاياتهِ في النوم وهي حكاية الحمامتين وروى مّان دُبيران ان رئيس دير في بُوردُوّ كان ينهض كل ليلةٍ ويجلس في مكتبهِ فيكتب مواعظ متناسقة المعنى متتابعة الاقسام والتفاصيل ثم يراجعها ويصححها ويضرب بالقلم على ما لا يرضيهِ منها . لكن من الغريب ان صاحب هذه الحال متى استيقظ ينسى غالباً ما وقع منهُ في النوم بحيث يكون النسيان عند هؤلاء اكثر من النسيان عند غيرهم للاحلام العاديّة

قالوا والظاهر ان ما يأتيهِ النائم من ذلك هو من فعل الذاكرة والعادة بحيث ان حركات الفكر تتألف في النوم على نفس الوجه الذي اعتادت ان تتألف عليهِ في اليقظة فيكون مايفعلهُ في النوم تكراراً لما يفعلهُ في اليقظة. واذ ذاك فكل حركةٍ يتحركها الفكر تتبعها حركة العضو الذي يتعلق اجرآؤها بهِ فتكون هذه الحركة ناشئةً عن تلك لا عن عمل الارادة . واذا اقتضت الحركة الفكرية ان ينهض من فراشهِ ويخرج فكثيراً ما يركب اموراً ذات خطرٍ مخيف ولكنهُ لا يبالي بالخطر ولا يدرك مقدارهُ لان حسّهُ يكون مشغولاً بالصورة الفكرية التي في دماغهِ لا بالصُوَر الخارجية التي امامهُ فيمشي على سطحٍ مائل مثلاً او على جدارٍ عالٍ او طرف سطح ولا يجد في ذلك صعوبةً ولا يعرض لهُ ادنى خوف . وهو على الغالب

يسلم لكن الخطر كل الخطر ان يُوقَظ بغتةً وهو في مثل تلك الحال فانهُ يقع في الخطر لا محالة ولذلك ينبغي اذا رُؤي في حالٍ من الاحوال المذكورة او ما اشبهها ان يُترَك حتى يجوز الخطر بنفسهِ . على انهُ لابد من الاحتياط لمن وُجِدت فيهِ هذه الآفة بأن لا يُترَك لهُ سبيلٌ الى الخروج وان يُبعَد عنهُ كل شيءٍ يمكن ان يتعرض بهِ لما يؤذيهِ

ومن الغريب هنا انّا لم نجد لهذه الحالة اسماً عند العرب ولم نعثر لها على ذكر في كتب الطب ولا غيرها من الكتب التي قرأناها فالظاهر انهم لم يكونوا يعرفونها والافرنج يسمونها بما تعريبهُ المشي في النوم او الجولان في النوم (Somnambulisme) . وهي على كل حال من الحوادث النادرة واكثر ما تعرض للمصابين بالاضطرابات العصبية كالصرع والهستيريا وما شاكلهما فينبغي لمن ابتُلي بها ان يجنَّب كل ما يهيج العصب وبالتالي ان يعالَج بالمسكّنات التي تُعطَى في الاضطرابات المذكورة من مثل برومور البوتاس وغيرهِ مما يُرجَع فيهِ الى رأي الطبيب الحاذق

الانسان الاول

عثرت على الفصل الآتي تعريبهُ من تأليف بوفون الكاتب الفرنسوي الشهير وقد جعلهُ حكايةً عن منطق الانسان الاول يصف اول ما شعر بهِ بعد خلقهِ من حركات وسكنات وادراك ووجدان فاحببت ان اطرف بهِ قرآء الضياء لما فيهِ من الفكاهة ودقة التصور . قال

اني لأذكر تلك الساعة التي كنت فيها ممتلئاً من السرور والاضطراب

معاً وهي اول مرةٍ شعرت فيها بكياني . وما كنت اعلم حينئذٍ ما انا ولا اين انا ولا من اين اتيت . فتحت عينيَّ نخامرتني ممـا رأيت انفعالات لا يعبَّر عن كنهها فان النور وقبّة السمآء وخُضرة الارض وبلُّور المآء كل ذلك كان يشغلني ويحركني ويوحي اليَّ عاطفة ابتهاج لايحيط بها وصف . وقد ظننت في اول الامر ان جميع هذه الموجودات هي فيَّ ومني وتشبثت بهذا الفكرِ حيناً ثم وجهت نظري الى سلطانة الانوار فآذاني بهآؤها فاطبقت جفنيَّ غير متعمد وقد شعرت بألم خفيف واذ ذاك حاقت بي الظلمة فظننت اني فقدت وجودي ولم اعد شيئاً مذكوراً

* * *

غلب عليَّ الحزن والدَهَش واخذت افكّر في هذا الانقلاب الكبير الفجآئي واذا بي اسمع اصواتاً مختلفة متألفة من تغريد الطيور وحنين الرياح فاتصل باعماق نفسي لطف تأثير هذه الحفلة الموسيقية الطبيعية واصغيت طويلاً حتى تحققت ان ما اشعر بهِ من ذلك انما هو شيءٌ مستقرٌّ فيَّ لا مستقلٌّ عني اكتسبتهُ من الخارج

وان هذا الكيان الجديد في فترة تلك الظلمة انساني الكيان الاول الذي توهمت فقدانهُ . انساني جمال النور وسائر الموجودات التي هي جزءٌ مني على ما زعمت . ثم فتحت عينيَّ وهنا نشأ عندي من السرور ما فاق سروري الاول حتى اذهلني عما وجدتهُ من لذة تلك الاصوات

القيت نظري على الوف من المنظورات وادركت للحال ان في استطاعتي ان افقدها جميعها وان استعيدَها وبعبارة اخرى ان أُلاشي

جزئي هذا الجميل وان اردّهُ الى الوجود تبعاً لمشيئتي ولم يمنعني ما تبينتهُ في تلك الاشياء من الكثرة والفخامة وتنوُّع الاشكال والالوان ان احسبها بأسرها جزءًا مني

وما طال بي الامر حتى شرعت ارى ما ارى بدون اضطراب واسمع ما اسمع بدون انفعال . ولكن بعد ذلك سرت نسمةٌ لطيفة اكسبها الزهر وبعض النبات ارجاً طيباً فشعرت بتلك اللطافة وهذا الطيبَ واصبحت أَحَبَّ لنفسي وأَشَدَّ اعجاباً بها

***

وكان هذا الوجود العظيم المتسع قد ابهجني وهيجني اي تهييج فنهضت . واذ وجدتني منتصباً على قدميَّ وانا لم اكن متعمداً ذلك ولا آملاً حصولهُ دهشتُ كثيراً وشعرت ان فيَّ قوةً مجهولة . وما خطوت الا خطوةً واحدة حتى رأيت المنظورات حولي قد تبدلت مواقعها فبلغت دهشتي غايتها القصوى وعدت الى الوقوف اذ ظننت ان كياني يهرب مني وان نظام الاشياء قد تغير عن وضعهِ

ثم مددت يدي الى رأسي ولمست بها جبهتي وعينيَّ وأجلتها على سائر جسدي فظهر لي ان تلك اليد اهمُّ اعضائي وان الاشياء التي شعرت بها بهذا الجزء مني كانت اشدّ تميُّزاً ووضوحاً فكان تلذذي بها اتمّ من تلذذي بالانوار والاصوات . واذ ذاك انصرفت بجملتي الى هذا الجزء من كياني وشعرت بان مداركي قد صارت ابعد غوراً واصدق حكماً

وكان ينتابني احساس مزدوج كلما لمست بيدي موضعاً من مواضع

جسمي اي احساس الجزئين اللامس والملموس . فلم ابطئ بعد ذلك حتى عرفت ان هذه الخاصّية غير منحصرة في يدي بل تتناول ايضاً جميع اعضآئي واجزآئي ومن ثم ادركت حدود هيكلي البشري الذي كان قد ظهر لي في منتهى العظم والاتساع الى حد اني حسبتهُ خليقةً ضخمة ليس سائر الموجودات في جنبها الا نقطاً نيرة

* * *

لبثت حيناً طويلاً اتفحص ذاتي واتأملها بلذة ثم جعلت اتتبع يدي بعيني وانا اراقب حركاتها وتنقلاتها فبدا لي فيها رأيٌ من اغرب الآرآء وهو ان حركات تلك اليد ليست سوى نوع من الوجود سريع الزوال أو اشيآء متشابهة يتتابع بعضها في اثر بعض . ثم ادنيتها من عينيَّ فظهرت لي اكبر من سائر جسدي لانها حجبت عني موجودات مختلفة لا تحصر ولا تحصى

فحرت في حقيقة هذا الشعور وتبين لي منهُ ان البصر غير صادق الدلالة لاني كنت قد رأيت يدي من قبل جزءًا من اجزآء جسمي فكيف بلغت هذا الحجم العظيم الذي لا حدَّ لهُ واذ ذاك رأيت ان لا اثق الا باللمس لانهُ الى ذلك الحين لم يكن قد خانني وان لا استسلم الى غيره من سائر الحواس

* * *

وقد عاد عليَّ هذا التحفظ بالنفع الجزيل فاني بينما كنت سائراً وانا رافعٌ رأسي نحو السمآء اذ صدمت شجرة نخل اعترضت طريقي صدمةً

خفيفة فارتعت ومددت يدي نحو هذا الجسم الغريب عني . وانما سميتهُ غريباً لاني حين ملامستهِ لم اشعر شعوراً مزدوجاً كما شعرت في ملامستي الاولى . واذ ذاك انثنيت وقد استشعرت نوعاً من الخشية وعلمت للمرة الاولى بوجود شيء مستقل عني غير داخل في تركيبي

وقد اقلقني هذا الاكتشاف الجديد الذي افضيت اليهِ بحكم اللمس . وبعد التأمل رأيت ان استخدم اللمس في تحقق الموجودات الخارجة عن كياني كما استخدمتهُ في تحقق اجزاء جسمي ومن ثمَّ اخذت احاول لمس كل ما اراهُ حتى حاولت لمس الشمس ومددت يديَّ لاطوّق بهما الافق فلم اظفر بغير الخلاء

وكنت اقع في حيرة بعد حيرة عند كل تجربة من هذا القبيل لان جميع المنظورات كانت تظهر لي على قرب واحد مني . وبعد تجارب عديدة ظهر لي انهُ لا بد لي ان اجعل بصري قائداً ليدي . وقد احدث عندي هذا الاختلاف بين مدى البصر وطاقة اليد اختلافاً في الاستنتاج والحكم حتى في تحقيق ذاتيتي اذ اصبحت اعتبرها كياناً مبهماً

***

ولكن ذلك لم يمنعني عن الاسترسال الى شدة التفكير في مصدري ومصيري وفي امر التناقضات التي لاحت لي . ولما رأيت فرط التأمل لا يكسبني غير زيادة الحيرة والريب صغرت نفسي في عيني وسئمت هذه المناجاة التي لا نهاية لها وضقت بها ذرعاً . واخيراً انحنت ركبتايَ فجلست واسترحت فافادتني تلك السكينة نشاطاً وجددت قوى حواسي

وكنت جالساً بظل شجرة حسنة المنظر ذات ثمر شهيّ قد تدلى على شكل عناقيد الى مسافة لا تفوت مدى يدي فلمستهُ لمساً خفيفاً فانفصل عن الاغصان كما ينفصل التين عند تمام نضجهِ

وتناولت واحدة من ذلك الثمر فظننتني بامتلاكها قد أُوتيتُ فتحاً جليلاً واخذتني هزة افتخار اذ رأيت في استطاعتي ان احرز بين يديَّ كائناً مستقلاً مثلي . ثم ادنيتها من عينيَّ ونظرت الى شكلها ولونها وشممت منها رائحة طيبة دفعتني الى زيادة ادنآئها حتى لامست شفتيَّ واذ ذاك اخذت اتنشقها بنَفَس مستطيل وأنعم بريّاها حتى امتلأ جوفي من تلك النسمة العطرية . وكررت ذلك مراراً حتى شعرت ان ذلك العطر اللطيف قد اشتدّ اثرهُ في داخلي وحبَّب اليَّ زيادة الاتصال بيني وبينها فذقتها

وحين ذقتها تولاني شعور جديد اي الشعور بلذة الطعم العظيمة وقد وجدت لها اثراً واضحاً وتعلقاً كبيراً بداخلي يفوق آثار النظر والسمع واللمس التي عرفتها من قبل

***

وولّدت فيَّ لذة هذه الثمرة الممتلكة حب التملك لاني اعتقدت ان جوهرها قد صار جزءًا من جوهري وبامتلاكها خُيِّل لي اني قادر على تحويل عناصر الاشيآء الى عنصري

فاندفعت بتصور هذه القدرة وتذكر حلاوة الطعم وقطفت ثمرة ثانية فثالثة فرابعة الى ان انتهى ذوقي عن طلب المزيد . واذ ذاك شعرت بارتخآء مُستحَبّ يتمشى تدريجاً في مفاصلي ومشاعري ويستوقف نفسي عن

نشاطها وبات ادراكي لصور الموجودات حولي ضعيفاً ناقصاً . وفي هذه الهُنَيهة فقدت عيناي مزيتهما وانطبقتا ولم يعد لرأسي قوة عضلية تمسكهُ فهوى الى العشب . وهكذا امحّى من امامي كل شيء وانقطعت عن التأمل وغدوت غير شاعر بوجودي . وكان هذا النوم ثقيلاً ولكن لا اعلم مدتهُ اذ كنت جاهلاً قياس الوقت ومعناهُ . ثم استيقظت فرأيت يقظتي وجوداً ثانياً علمت فيهِ اني انقطعت عن الوجود حيناً وقد راعني هذا الانقطاع واوحى اليَّ اني غير خالد .

ثم راعني امر آخر وهو خوفي ان اكون قد تخليت عن جزء من ذاتي في عالم النوم فقمت اتفحص حواسي حتى اقتنعت اني لا ازال كما كنت

واذ ذاك كانت الشمس قد بلغت آخر شوطها وتوارت بالحجاب ولكن ذلك لم يكد يوهمني اني فقدت بصري . واما وجودي فكان اوضح واظهر من ان احسبهُ مفقوداً فلم تكن الظلمة التي دخلت فيها حينئذٍ لتعيد عليَّ ما تمثَّل لي في نومي الاول

ادوار مرقس

مطالعات

عدد النجوم — قدَّر الاستاذ سيمُون نيوكُومب ان عدد النجوم يبلغ نحو ١٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ نجم منبثّة حولنا في كرة يقدَّر نصف قطرها بما يعدل ٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ مرة من مثل بعد الشمس عن الارض وهي مسافة لا يجتازها النور في اقل من ٣٣٠٠ سنة في سرعة ٣٠٠ ٠٠٠ كيلو متر في الثانية . الا ان هذا العدد يمكن ان يصدق بالقياس الى النجوم التي تُرَى

واما اذا كان الفضآء لا نهاية لهُ والنجوم منتشرة فيهِ كذلك كان هناك ما لا يُحصى من الملايين و بعبارة اخرى ما لا يمكن ادخالهُ تحت حصر . على ان هذه النجوم لا يمكن ان تُرَى كلها من هنا وان كان النور لا يضمحلّ لان بعضها يحجب بعضاً على حدّ ما اذا نظرت الى اشجار غابةٍ كثيفة بعيدة الاطراف فانهُ لا يُرى الا ما واجه العين منها وهو مقدار ما يملأ على اختلاف مسافاتهِ عرض الفسحة التي هي موزَّعة فيها وما بقي منها فانهُ يكون محجوباً بالمرئيّ فلا يُرَى منهُ شيء

عيون الافاعي — يصحّ ان يقال ان للافاعي عيوناً زجاجيّة فانها لا تنطبق اذ لا جفون لها . ولعين الافعى غشآء زجاجي وهذا الغشآء ينسلخ مع ما تلقيهِ الافعى حين انسلاخها من قشرها. وللغشآء المذكور من الصلابة ما يقي جوهر العين مما يعرض لها من عيدانٍ ونحو ذلك وهي على صلابتها لها من الشفوف ما يمكّن من الإبصار التامّ ولذا يصحّ ان يقال ان لم تكن عيون الافاعي زجاجاً فهي ترى بمناظير زجاجية

النشرة الاسبوعية

الاسكاف والصرّاف

معرّبة عن لافونتان

قد كان اسكافٌ شديدُ الفقرِ   يرأَبُ بالمِخرَزِ صدعَ الدهرِ
مشتغلاً سحابةَ النهارِ   لنيل قوت وِلْدةٍ صغارِ

وكانَ يستعينُ بالغنـاءِ		على احتمال الجهـد والعناءِ
فتـارةً يلهو بكَتْبِ النعلِ		وبالغنا طوراً يُرى في شغلِ
وتارةً يجمع ما بينهمـا		مقطّعـاً مع الأديم النغَما
فيوقعُ الصوتَ بطَرْقِ الخُفِّ		كأَنَّ ضرب الخفِّ نقرُ الدفِّ
وكانَ للاسكاف هذا جارُ		كأَنَّ حشوَ جلدهِ نُضارُ
لكنهُ كان بعكس الحالِ		لا يخطر الشَدْوُ لهُ ببـالِ
وانهُ في الليل ينبو المضجعُ		بجنبهِ فلا يكادُ يهجعُ
حتى اذا أَغفى قُبيلَ الفجرِ		أَيقظَهُ طبـلٌ بغـير زمرِ
فكان يشكو سوءَ تدبير الزَمَنْ		أَن لا ينالَ كلَّ شيءٍ بثَمَنْ
فلا تُبـاعُ لذة المنـامِ		في السوق كالشراب والطعامِ
وبينما المُثري بهـذا الضيقِ		دعا اليـهِ جارَهُ الموسيقي
وقال هل تخبرُني يا صاحِ		ما تحرزُ العامَ من الارباحِ
فقال يا مولايَ جمع مكسبي		في العام او في القرن ليس مذهبي
وانمـا أُنفِقُ في نهاري		ما نلتهُ من فضل رزق الباري
حسبي اذا احصيتُ ما لديَّا		وكنتُ ليسَ لي ولا عليَّا
لا همَّ لي ان احشد الآلافا		لكن بأَن لا أُحرَم الكفافا
قال وفي يومك ما تُغِلُّ		فقال قد يكثُرُ او يقلُّ
وما شكيتي سوى أَعيـادِ		أعيثَ في زرعي من الجرادِ
تزيدني عُدماً على إعدامي		كانهـا نصيرة الأَصوامِ
وكلَّ يومٍ حضرة القسيسِ		يكدس قدّيساً على قدّيسِ

فما تُضي الاّ بزيتِ كَبِدي اعيادُهُ للانبيـاءِ الجُدُدِ
فضحك الصرّافُ من سذاجتهْ ورامَ ان يسدَّ وجهَ حاجتهْ
فقال خذ منّيَ هذي البَدْرَه تجلو بها عن الزمان الكُدْرَه
فاُعنَ لما فيها من النقودِ واحفظهُ ذُخراً لليالي السودِ
فابتدرَ البدرةَ باليدينِ غيرَ مصدِّقٍ برأيِ العينِ
وسارَ وهو زائغٌ عن رُشدِهِ يَعجَبُ من علوِّ برج سعدِهِ
حتى اتى البيتَ فوارَى الصُرَّه في الارض والغنـاءَ والمسرَّه
وصار يقضي ليـلهُ يقظانا يتَّهمُ الأَبوابَ والجُدرانا
حتى اذا دَبَّت اليـهِ فارَهْ ظنَّ اللصوصَ يسرقون دارَهْ
وان وعى من الطريق رِكزا قال أَراهم يقسمونَ الكنزا
فبعد ما أَعيا وسآءَ حالا عاد لبيتِ جارِهِ وقالا
دُونكَ ما اعطيتني من ذهبِ ورُدَّ لي نومي وماضي طَرَبي

جبران النحاس

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — هل يوجد حلقة مفقودة بين الحياة والموت فان البعض يقولون ان الحياة من الحياة والبعض يدّعون ان الحياة قد جآءت من لاحياة والبعض يزعمون انها جآءت من حياة غير ارضية اي ان قوة الحياة سقطت من عالم حيّ بواسطة النيازك . ثم هل توجد حلقة بين عالمي الحيوان والنبات و بين المعادن مستفيد

الجواب — تجدون خلاصة ما قيـل في هذه المسائل في الجزءين الاولين من ضياء هذه السنة

القاهرة — قرأت مراراً في كلام كتاب الجرائد قولهم توتّرت العلائق بين الدولتين بمعنى ضعفت الصلات بينهما فهل يصحّ هـذا الاستعمال وان صحّ فما تأويله　　احد القرآء

الجواب — الاظهر ان هذه العبارة تفيد عكس المعنى الذي يريدونهُ لانهُ يقال وتّر القوس اذا شدَّ وترها وتوتَّر العَصَب ونحوهُ اذا اشتدَّ فصار مثل الوتر فهي تدلّ على قوة الصلات ومتانتها لا على ضعفها كما لا يخفى والصواب ان يقال استرخت العلائق بينهما او وَهَت وما في هذا المعنى

زحلة — طالعنا في مجلتكم الغرآء (ص ١٦٦) قول القائل « واليك محصَّل الحال » وقد مرَّ بنا في كتب النحو ان اليك بمعنى اعتزل فما المراد بها هنا　　ميشال يوسف المعلوف
بالكلية الشرقية

الجواب — اليك تأتي بمعنيين احدهما ما ذكرتموهُ والآخر خُذْ مثل دونك وهو المراد هنا

آثار ادبيّة

تقويم المؤيَّد — هو التقويم الشهير الذي يصدرهُ حضرة الكاتب المتفنن محمد افندي مسعود احد منشئي جريدة المؤيد الغرآء . وقد انتهت

الينا نسخةٌ منهُ لهذه السنة التي هي سنة ١٣٢٤ للهجرة وهي السنة التاسعة لصدورهِ فوجدناهُ على ما أُلِف منهُ حافلاً بالفوائد التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية والادبية والتجارية والزراعية الى غير ذلك من كل ما فيهِ توسيعٌ للمدارك وارشادٌ للبصائر وفكاهةٌ للالباب

وهو حسن الطبع جيّد الورق مجلد تجليداً لطيفاً يقع فيما يزيد على ٤٠٠ صفحة ويباع في مكتبة المعارف باول شارع الفجالة بمصر وفي سائر مكاتب القطر وثمن النسخة منهُ خمسة غروش مصرية

المصوَّر — هو الجريدة الوحيدة التي تصدر في هذه اللغة بالصور الملوَّنة المتقنة الرسم والطبع على طلاوة مباحثها وحسن نسقها ونباهة اغراضها . وقد عني باصدارها منذ سنواتٍ حضرة الكاتب الاريب خليل افندي زينية ثم احتجبت عن قرآئها بعد ان نالت بينهم اوفر حظٍّ من الرغبة والاعجاب مما دعا حضرة منشئها الى اعادة اصدارها والتوفر على الزيادة في تحسينها وتوسيع فوائدها

فنحن نرحّب بهذه الرصيفة الحسنآء وندعو المتأدبين الى تلقّيها بما عرفت فيهم من الاقبال والايثار وهي تصدر على عهدها مرةً في الاسبوع وقيمة اشتراكها ٦٥ قرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في الخارج ولمشتركي الاهرام ٤٠ قرشاً في القطر و١٥ فرنكاً في الخارج

فكاهات

شرلوك هولمز(١)

— ١٤ —

حادثة بوهيميا

قسم لي الحظ ان تزوجت فانقطعت مدة طويلة عن صديقي شرلوك لانهما كي باشغالي البيتية التي يعلمها كل متزوج والتي يعرف انهـا تستغرق كل وقتهِ ولا سيما وانني عدت الى ممارسة صناعتي في الطب لكسب معاشي والقيام بالنفقات الكثيرة التي تطلب مني . وكنت كلما خلوت بنفسي ارجع بافكاري الى ذاك الصديق فاعيد كلامهُ وتصوراتهِ واعمالهُ وكثيراً ما كنت اقف معجباً بامرٍ استغربتهُ فيهِ وهو شدة اهتمامهِ بصناعتهِ فانهُ كان اذا لم تتوفر لديهِ الحوادث يخترع لنفسهِ مشكلاتٍ يسعى في حلها طلباً لشحذ قريحتهِ وتمرين نفسهِ . وكان اشتغالي باموري الخاصة مع انقطاع شرلوك بنفسهِ في البيت القديم الذي سكناهُ معاً مما حال دون لقيانا غير انني كنت اقف على اخبارهِ من حين الى آخر في الجرائد فيسرّني ما اتلو عن نجاحهِ في الامور التي توكل اليهِ

وحدث في مسآء العشرين من شهر مارس سنة ١٨٨٨ انني عدت مريضاً من اصدقآئي واتفق رجوعي من شارع باكر فلما مررت بباب المنزل الذي يسكنهُ صديقي نازعتني نفسي الى مقابلتهِ ونظرت الى غرفتهِ فرأيتها منوَّرة ثم رأيت شبحهُ الضئيل الطويل يطير ذهاباً واياباً امام النافذة وقد اسند ذقنهُ الى صدرهِ وجعل يديهِ ورآء ظهرهِ كشأنهِ اذا كان في تفكر عميق فعلمت ان لديهِ مسئلة عويصة

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

يحلها . فقرعت الجرس ولم يكن الا قليل حتى صرت في غرفتهِ فاستقبلني ببريق عينيهِ وهي الاشارة الوحيدة التي كان يظهر بها سروره ُ و بعد ما جلست نظر اليَّ طويلاً حسب عادتهِ وقال يظهر لي ان الزواج قد افادك يا عزيزي وطسن فلا اشك ان صحتك في تحسن وقد زاد ثقلك سبعة ارطال ونصفاً عما كنت اعهدك . قلت انت مصيب في تخمينك فانني زدت سبعة ارطال . قال واراك قد رجعت الى مزاولة الطب فلمَ لم تخبرني بذلك . قلت ومن اعلمك به اذاً . قال علمتهُ الآن كما علمت ايضاً ان خادمتك مهملة كسلى وانك كنت تعود مريضاً من مدة يومين ورجعت تحت المطر فابتل ثوبك وغصت في الوحول . فاستغربت كلامهُ غاية الاستغراب وقلت ما هذا ايها العزيز شرلوك وكيف علمت ذلك فانني في الحقيقة ذهبت الى خارج البلدة اول امس وعدت تحت المطر الغزير حتى لم اكد اصدق انني سأبلغ البيت . اما خادمتي فهي كما ذكرت وقد اعلمتها زوجتي اننا سنستغني عنها في آخر الشهر ولكن من اطلعك على هذه الخفايا فانك تحملني على ان اعتقد فيك السحر واؤكد انك لو كنت قد ولدت قبل قرنين لاحرقوك حيًّا . فقهقه شرلوك وقال لا شيء من السحر في هذا يا عزيزي وطسن بل ان الامر في غاية الوضوح فقد رأيت مؤخر حذآئك الايسر وعليهِ ستة خطوط متوازية لا شك انها من آلة حادّة استُعملت لنزع الوحل عنهُ فعلمت من هـذا انك سرت تحت المطر وغصت في الوحل وان الشخص الذي نظف حذآءك وهو الخادمة مهمل كسل . اما عودتك الى مزاولة الطب فقد شممت رائحة اليودوفورم حال دخولك ورأيت آثار نترات الفضة على سبابتك وطرف المسمعة الصدرية بارزاً من جيبك فاذا لم تؤكد لي هذه الامارات انك تمارس الطب كنت اعظم الاغبيآء . انني لست ساحراً يا وطسن ولا انا اعظم من غيري من البشر ولكنني ارى واتدبر وغيري يرى فقط وقد عشنا معاً في هذا البيت سنوات عديدة فهل تذكر كم مرة صعدت السلم الموصِل الى هذه الغرفة . قلت الوفاً من المرار . قال وهل تعلم كم عدد درجاتهِ . قلت كلا فانهُ لم يخطر لي قط ان اعدها . قال هذا هو الفرق بيننا فانك لم تعدها لانهُ لم يخطر لك

ان في عدّها نفعاً اما انا فافتكرت انني ربما اضطرّ الى صعودها او نزولها ليلاً بدون نور فعددتها اول مرة ووجدتها سبع عشرة درجة فحفظت ذلك . وعلى ذكر الحفظ والتدبر ربما يلذ لك ان تطلع على امرٍ جاءني اليوم ولما قال هذا دفع اليَّ رقعة حمرآء اللون وقال اقرأ هذه بصوتٍ عالٍ فقد جاءتني اليوم مع البريد . فنظرت الى الرقعة ولم يكن عليها تاريخ وقرأت فيها ما يأتي « سيزورك في مسآء اليوم عند الساعة الثامنة شخص يود استشارتك في امر ذي بال فان المهمة التي قمت بها لدى بعض بيوت اوروبا المالكة تؤكد لي انهُ يمكن الاتكال عليك في حفظ سر عظيم الاهمية. اما مهارتك فقد اصبحت مما يشهد بهِ كل احد فكن في غرفتك في الوقت المعين ولا تستأ اذا وجدتني اخفي وجهي بلثام » . ولما اكملت القرآءة نظرت الى شرلوك مستغرباً فتبسم وقال بلغتني هذه الرقعة وانا لا اعلم عنها شيئاً اكثر مما تعلم انت الآن فجعلت ادرسها درساً مدققاً فاستنتجت ان مرسلها ذو ثروة لان هذا الصنف من الورق غالي الثمن وهو خاص ببعض الناس . ثم رفعت الرقعة ازآء النور فوجدت فيها حروفاً مرسومة بالطباعة المآئية حللتها فوجدت انها اسم الشركة التي تصنع هذا الورق وهي في إجريا الالمانية من بوهيميا لا تبعد كثيراً عن كارلسباد . ثم علمت انّ الكاتب الماني لاني وجدت بعض الحروف مكتوبة على صورة لا تكتب بها الا في اللغة الالمانية واكد لي ذلك ايضاً نسق تركيب جملها . فلم يبقَ عليَّ الاّ ان اقابل هذا الكاتب الالماني لانظر في طلبهِ وانني اسمع الآن وقع حوافر جوادين يجران مركبة فلا يبعد ان يكون هو القادم . ولم يكد يتم شرلوك كلامهُ حتى وقفت المركبة امام الباب وقُرع الجرس فنهضت مستأذناً للانصراف فمنعني قائلاً ان في الامر اهمية ربما يلذ لك سماعها فابقَ قلت ولكن اخشى ان يكون حضوري مما يسوء الزائر . قال لا بأس فسأعلمهُ انك شريكي ومن المحتمل ان نحتاج الى معاونتك. وفي تلك الدقيقة فتح باب الغرفة ودخل رجل طويل القامة عليهِ لباس العظمة والترف تزينهُ الشرائط الذهبية مما يدل على الرفعة والغنى وقد اخذ قبعتهُ بيدهِ وستر وجههُ لثام اسود لا يظهر منهُ الا العينان . وبعد ان حيّا قال قد اعلمتك في رسالتي

اني قادم اليك فهآءنذا وكان يتكلم بلهجةٍ المانية وهو ينظر من الواحد الى الآخر لا يعلم ايٌّ منا شرلوك . وللحال كلمهُ شرلوك قائلاً تفضل يا سيدي بالجلوس وائذن لي ان اعرّفك بصديقي الدكتور وطسن وهو خير رفيق ومساعد لي في اشغالي وارجو منك ان تمنَّ عليَّ بمعرفة الشخص الذي اتشرف الآن بمخاطبتهِ . فجلس الزائر وقال اما انا فالكونت ڤون كرام من اشراف بوهيميا واما حديثي فاودّ ان اتلوهُ امامك فقط الا اذا كنت تعلم ان صديقك نظيرك يكتم ما سيسمعهُ الآن . فلما سمعت ذلك نهضت ثانيةً اريد الانصراف فاستوقفني شرلوك وقال لهُ ان احدنا لا يكتم عن الآخر شيئاً فيمكنك ان تبدأ بحديثك بدون خوف . قال حسن فأبدأ اذاً باخذ عهد الشرف منكما ان تحفظا هذا السر العظيم الى سنتين من الآن لانهُ بعد ذلك لا يبقى لحفظهِ اهمية . ولما عاهدناهُ على الكتمان قال اعذراني على ابقآء اللثام فان مرسلي يود ان لا يُعرف رسولهُ واظن انهُ لا يلزمني ان اقول لكما ان الاسم الذي ذكرتهُ لكما الآن ليس هو اسمي الحقيقي . فتبسم شرلوك وقال قد عرفت ذلك يا مولاي . فقال الرجل ان شدة الحذر واجبة لئلا يشيع الامر فتكون عاقبتهُ شديدة الوخامة على احدى الاسر المالكة في اوربا وبعبارة اوضح اقول ان القضية مختصة باسرة اورمستين الشهيرة المالكة في بوهيميا . فتبسم شرلوك ثانيةً وقال وقد عرفت هذا ايضاً يا مولاي ثم اطبق عينيهِ واستند الى كرسيهِ منتظراً تتمة الكلام ولم ينتبه الى الزائر الذي بدت عليهِ علامات الاستغراب الشديد فتوقف عن الكلام وجعل يتفرس فيهِ صامتاً

وبعد هنيهة فتح شرلوك عينيهِ ونظر اليهِ متضجراً من توقفهِ وقال لهُ اذا تنازلت جلالتك لاتمام الحديث يسهل عليَّ القيام بخدمتك . وما سمع الزائر كلمة جلالتك حتى وثب عن كرسيهِ كأن افعى لدغتهُ فجعل يسير في الغرفة ذهاباً واياباً باضطراب عظيم ثم وقف فجأةً ومزّق اللثام عن وجههِ وقال انك مصيب يا هذا فانا ملك بوهيميا وعلامَ اخفي نفسي . فتبسم شرلوك ثالثةً وقال انهُ حالما وطئت قدما جلالتك باب هذه الغرفة عرفت ان زائري ليس الا ولهلم جوتسريخ سجسموند ڤون

اورمستين غراندوق كاسل فلستين ملك بوهيميا . فجلس الملك على كرسيهِ وقال لا يغرب عنك انني لم اعتد ان اقضي اموراً كهذه بنفسي ولكن خطورة الامر لم تسمح لي ان اسلمهُ الى احد فلذلك اتيت متنكراً من براغ لاصل اليك واستشيرك . اما قصتي فهي انني منذ خمس سنوات زرت مدينة وارزو وتعرفت بالسيدة ارين ادلر المشهورة التي لا بد انكما سمعتما باسمها . فمد شرلوك يده الى مكتبتهِ واخذ كتابهُ و بعد ان قلب بضع ورقات قرأ ما يأتي « ارين ادلر ولدت في اميركا سنة ١٨٥٨ واتخذت حرفة التمثيل فاشتهرت في دار التمثيل الملوكي في وارزو ولما جمعت مالاً كافياً تركت صناعتها واتت انكلترا » . ولما اتم قرآءتهُ نظر الى زائرهِ وقال يغلب على ظني ان جلالتك علقت هذه الفتاة الغانية وانك كتبت اليها بعد عشقك لها وانت تودّ الآن استرجاع مراسلاتك . فقال الملك نعم هذا ما اتيت لاجلهِ . فقال شرلوك وهل تزوجت بها . قال لا . قال وهل كان بينكما اوراق رسمية تشير الى ذلك . قال لا . قال فاذاً ماذا يخيفك من تلك الرسائل وهل تخشى ان تستخدمها لتبتزّ ثروتك واذا كان هذا قصدها فكيف يمكنها اثبات ذلك . قال عندها خطي . فقال شرلوك هو مزوّر . قال وورقي الخاص . قال هو مسروق . قال وختمي . قال مقلد . قال وصورتي . قال مشتراة . فقطب الملك حاجبيهِ وقال لسوء الحظ لا يمكن قبول هذا الاحتجاج لان الصورة تضمني واياها . فعض شرلوك على شفتهِ السفلى وقال ان هذا موجب الخوف يا مولاي . فقال الملك انني لم اهتم بشيء في ذلك الوقت لانني كنت وليّ عهد وانا حتى الآن لم ابلغ الثلاثين من عمري . فقال شرلوك ان الصورة تهم اكثر من كل شيء فيجب استرجاعها . قال قد حاولت ذلك كثيراً فلم اجد اليهِ سبيلاً . قال اشترِها بالمال . قال انها لا تبيعها . قال فاسرقها . قال قد حاولنا ذلك خمس مرات فلم نفلح وفتشنا امتعتها مرتين في اثناء سفرها فلم نقف للصورة على اثر . وهي ولا شك تهتم بحفظ هذه الصورة اهتمامها بحفظ حياتها لانهُ بلغها انني ساقترن بالبرنسة كلوتيلد ابنة ملك سكنديناڤيا وهي تعلم ان اقل شبهة تلقى عليَّ تحول دون اتمام هذا الزواج وفي نيتها ان ترسل الصورة الى اهل عروسي

المستقبلة . فقال شرلوك وهل انت متحقق انها لم ترسلها حتى الآن . قال نعم لانها قالت انها سترسلها يوم عقد الخطبة اي يوم الاثنين القادم . فقال شرلوك اذاً امامنا ثلاثة ايام نسعى فيها وهو وقت كافٍ وانت ولا شك ستبقى في لندن فاعطني عنوانك لاكاتبك اذا اقتضت الحال واعلمني المبلغ الذي تسمح لي بانفاقهِ في سبيل هذا البحث . فقال الملك انني سابقى هنا هذه المدة تحت الاسم الذي اعطيتكهُ اولاً وهو الكونت فون كرام ومحل اقامتي لانهام اما المال فاني مفوض اليك امري حتى اضطررت الى بيع ايالةٍ من مملكتي اما الان فخذ هذه الاوراق وقيمتها الف ليرة . واعلم ان ارين تقيم في شارع سر بنتين بقرب غابة القديس يوحنا وان الصورة من القياس الكبير المعروف بكابينه . فكتب شرلوك وصلاً بالمبلغ دفعهُ الى الملك ثم اخذ دفترهُ فكتب فيهِ عنوان تلك الغانية وشيع زائرهُ الى الباب واعداً انهُ سيبذل جهدهُ وانهُ ربما يفيدهُ شيئاً في الغد . ولما سارت العربة بالزائر نظر اليَّ شرلوك وقال لا احب ان اعوقك اكثر ايها العزيز وطسن ولكن ارغب اليك ان تأتي اليَّ بعد ظهر الغد لنتكلم معاً في امر هذه الحادثة

وعند الساعة الثالثة من اليوم الثاني ذهبت الى بيت صديقي فلم يكن هناك وعلمت من الخادمة انهُ خرج منذ الصباح ولم يعد . فدخلت الغرفة وجلست انتظرهُ الى الساعة الرابعة واذا بالباب قد فتح ودخل منهُ خادم يترنح بالسكر وقد تورَّم وجههُ وانتفش شعرهُ وتمزقت ثيابهُ فعجبت من دخول هذا الخادم الغريب ومع اعتيادي مشاهدة شرلوك في تنكرهِ لم اعرفهُ حتى رايتهُ دخل غرفة نومهِ وعاد بعد بضع دقائق بثيابهِ العادية فجلس امامي واستغرق في الضحك ثم قال لو علمت يا وطسن كيف قضيت نهاري وماذا فعلت لضحكت اكثر مني الآن . قلت لا شك انك كنت تراقب بيت ارين ادلر وتلاحظ حركاتها. قال نعم قد خرجت صباحاً في زي خادم وما عتمت ان بلغت منزلها وعرفت غرفهُ ومداخلهُ ومخارجهُ واثاثهُ ورياشهُ ثم نمت على الطريق شأن الخدم الكسالى المطرودين من اعمالهم . ولم يكن الا القليل حتى رأيت خدم السيدة ادلر قد خرجوا الى عملهم فساعدتهم في تنظيف الخيول والحديقة

ونلت جزآء مساعدتي بنسين وكأس خمر ولفافتي تبغ . وكنت اسارقهم الحديث فعلمت منهم كل ما يعرفونهُ عن سيدتهم وانها تتعاطى الغنآء في ندوة قريبة وتخرج في عربتها كل يوم في الساعة الخامسة للنزهة وترجع في السابعة لتناول العشآء ولا يزورها من الناس الا رجلٌ واحد يدعى جودفري نورتون وهو اسمر اللون جميل الخلقة قوي العضل . وبعد ان علمت كل ذلك جعلت افكر في طريقة اجري عليها وعلمت ان لهذا الرجل جودفري شأناً كبيراً في الامر الذي نحن بصددهِ وانهُ محامٍ ولكن ما شأنهُ في زيارة ارين وهل هي من الذين يتوكل عنهم ام من اصدقآئهِ ام معشوقتهُ فان كان الاول فلا يبعد ان تكون قد اعطتهُ الصورة وان كان الاخير فلا يمكن ان يكون ذلك . وحينئذٍ جعلت اؤامر نفسي هل اجعل بحثي في منزلها او احول نظري الى استطلاع حالة الرجل وانت لا تجهل دقة الامر وانهُ يزيد في وعورة مسلكي . وبينما انا غارق في تأملاتي رأيت مركبة قد جآءت فوقفت امام البيت ونزل منها رجل اسمر اللون جميل الصورة لم اشك في انهُ نفس الرجل الذي سمعت عنهُ فدخل المنزل وبقي في زيارتهِ نحو نصف ساعة رأيتهُ فيها من النافذة يسير ذهاباً واياباً ويهز يديهِ بقلق شديد اما هي فلم أرَها . وبعد قليل خرج وقال للحوذي طِرْ بي الى محل جروس وهانكي في شارع ريجنت ثم الى كنيسة القديسة مونيكا ولك مني نصف ليرة علاوة على اجرتك اذا اتممت ذلك في عشرين دقيقة .

وبينما انا افكر في هل اتبع الرجل اذا بصوت السيدة قد قرع اذني وهي تستدعي احد خدمها فامرتهُ ان يعد مركبتها . ولم يكد يفعل حتى خرجت فركبتها وصاحت بهِ اسرع بي الى كنيسة القديسة مونيكا ولك نصف ليرة اذا اوصلتني في عشرين دقيقة . فلم اعد استطيع صبراً وخطر لي ان اتعلق بمؤخر عربتها ولكنني قبل ان افعل رأيت مركبة قادمة من جهة اخرى فاستوقفتها وقبل ان يمانع حوذيها في ركوبي بتلك الهيئة قلت لهُ اذهب بي الى كنيسة القديسة مونيكا ولك مني نصف ليرة اذا اوصلتني في عشرين دقيقة . فالهب جواديهِ بالسوط وسار بي بسرعة لم اسر بمثلها قبلاً حتى بلغت الكنيسة فوجدت امام بابها المركبتين السابقتين فنقدتهُ الاجرة

ودخلت الكنيسة كما يدخل الفقرآء والمساكين فلم ارَ فيها سوى الشخصين اللذين ذكرتهما امام المذبح وبازآئهما كاهن . وحانت من الرجل التفاتة فرآني فصاح قائلاً لله الحمد فان هذا الغريب يقضي اربنا ثم اسرع اليَّ وقبل ان افهم مرادهُ جرَّني الى المذبح وجعل يملي عليَّ اجوبة لاقولها للكاهن فلم افهم شيئاً منها الا انني علمت انهُ يُعقد على ارين ادلر لجودفري نورتون . وبعد اتمام بركة العقد شكرني العروسان واعطتني العروس ليرة سأحفظها في سلسلة ساعتي ما حييت . ولما خرج العروسان من الكنيسة قالت لهُ انني سأخرج لنزهتي حسب العادة في الساعة الخامسة ثم ركبت عربتها وعادت الى منزلها وعاد هو الى منزلهِ وانطلقت انا الى تدبير شؤوني . اما الآن فالارجح انني احتاج الى مساعدتك يا وطسن فهل تحب ان ترافقني . قلت انت تعلم انني اطوع لك من بنانك . قال ولعلهُ يكون في عملنا ما يوجب سجننا . قلت لا يهمني ذلك اذا كان في سبيل الخير . قال اذاً يجب ان نكون بعد ساعتين في محل العمل فان السيدة ارين ترجع من نزهتها في الساعة السابعة فيجب ان نكون في منزلها لاستقبالها وقد اعددت كل ما يلزم فلا تهتم بشيء الا بان لا تتداخل فيما افعلهُ مهما حدث وربما يصيبني مكروه فلا يهمك الامر . وسينقلوني الى داخل البيت وبعد دخولي تُفتح نافذة الغرفة فيجب ان تكون بجانب النافذة وتراقب اعمالي ومتى رفعت يدي فارم الى داخل الغرفة بشيء اعطيكهُ وصح باعلى صوتك النار النار وسيردد الصراخ جمهور الخدم والمارّة فمتى حصل ذلك فاسبقني الى آخر الشارع حيث اوافيك بعد بضع دقائق . فهل فهمت وهل انت مستعدٌ للقيام بكل ذلك . قلت اني لم اخالف لك امراً في الماضي وستجدني كذلك في المستقبل . قال حسنٌ ثم دخل غرفتهُ وعاد بعد هنيهةٍ بثوب كاهن بسيط . ومن غريب امر شرلوك انهُ كان لهُ مقدرةٌ عظيمة على تغيير ملامحهِ حتى لو وقف امامك لاستطاع ان يحجب عينيك عن معرفتهِ بمجرّد ان يتبسم او ينفخ خديهِ او يغمض عينيهِ . ولما اتم كل ذلك خرجنا وسرنا معاً فبلغنا شارع سر بنتين ورأيت المنزل كما وصفهُ لي شرلوك ورأينا بالقرب منهُ جمهوراً من الفعلة يدخنون ويسيرون ذهاباً واياباً فدخلنا بينهم . وكان

شرلوك يقول لي ان الصورة الآن سلاح ذو حدين في يد ارين يخشى عليها منهُ فهي لا تحب ان يراها زوجها الجديد كما انها لا تريد ان يسترجعها منها صاحبنا فاين تكون الصورة يا ترى . ولست اظن انها تخفيها في ثيابها فان حجمها لا يسهل اخفآؤهُ وفضلاً عن ذلك فهي تخشى ان يسعى الملك في اغرآء من يلاقيها و ينزعها منها وقد حاول ذلك كما اخبرنا فلا يبعد ان تكون قد اودعتها عند محاميها او عند صرافها . ولكن النسآء في الغالب يفضلنَ الاعتماد على انفسهنَّ وفوق كل ذلك فهي تنوي ان تستخدم هذه الصورة بعد يومين فالارجح انها لا تزال في منزلها . فقلت ولكن الملك قد ارسل ايضاً مراراً لصوصاً ليسرقوها فلم يجدوها . قال يحتمل ذلك لانهم لم يعلموا اين يبحثون عنها . قلت وكيف يمكنك ان تعرف ذلك انت . قال سأجعلها ترشدني اليها بنفسها . و بينما نحن في الكلام جآءت العربة تقل ارين ولما بلغت الباب اسرع احد الفعلة ليفتح لها باب المركبة فزاحمهُ آخر ثم تقدم ثالث ورابع وكلهم يودّ ان يفتح الباب بنفسهِ لينال اجرتهُ من السيدة وانتهى الامر بينهم بالملاكمة والضرب . واخيراً فتحت السيدة باب مركبتها وترجلت فوجدت نفسها بين زمرة الفعلة وهم في قتال عنيف واذا بشرلوك قد وثب بينهم حتى وصل اليها وهو يحاول ان يحميها منهم و يقودها بسلام . ولكنهُ لم يكد يمد ذراعيهِ لحمايتها حتى سمعتهُ قد صرخ صرخة المتألم واذا بالدم يسيل على عينيهِ ووجههِ فانطرح الى الارض كمن فقد الحركة . وكانت هذه العلامة المتفق عليها بينهُ و بين الفعلة كما علمت بعدئذٍ فلما رأوهُ سقط لاذوا بالفرار ولم يبقَ في كل الشارع احد . اما ارين فانها تقدمت الى منزلها وصعدت السلم حتى بلغت اعلاهُ فوقفت ونظرت الى ورآئها ثم سألت الحوذي هل تألم الرجل المسكين كثيراً . قال اظنهُ مات يا مولاتي . وكان قد اجتمع بعض الجيران والمارّة فقال احدهم انهُ لم يمت بعدُ ولكنهُ سيموت قبل ان ينقل الى المستشفى . فقال الحوذي انهُ مات في سبيل انقاذكِ يا مولاتي فلا يليق ان نتركهُ في وسط الشارع فهل تأمرين ان ندخلهُ الى هنا . قالت نعم فاحملوهُ الى غرفة الجلوس وضعوهُ على المقعد الذي فيها . وللحال حملهُ بعضهم فاوصلوهُ الى الغرفة المذكورة وجلست

انا بقرب النافذة واخذت الكرة النارية التي اعطاني اياها واستعددت للعمل

ورأيت شرلوك يُظهر من الحركات ما يدل على ضيق نَفَسهِ فامرعت الخادمة الى النافذة وفتحتها وللحال رأيتهُ قد رفع يدهُ فالقيت الكرة الى داخل الغرفة وما بلغت ارضها حتى اشتعلت وخرج منها دخان كثيف فصحتُ باعلى صوتي النار النار. ولم اكد اصيح بذلك حتى سمعت جمهوراً يردد ذلك النداء بعدي وكان الدخان قد ملأ الغرفة وانتشر من نوافذها ورايت الناس يجرون من ناحية الى اخرى . ثم بعد قليل سمعت صوت شرلوك يطمئنهم و يقول الامر سهل لا تخافوا فاغتنمت الفرصة وانسللت بين القوم الى طرف الشارع فانتظرت نحو عشر دقائق وما صدقت ان رايت صديقي شرلوك قد تبعني فوضع يدهُ في يدي وقال هلمَّ بنا وكانت هيئتهُ وحركاتهُ تدل على عظم سرورهِ . و بعد ان سرنا مسافة صامتين قال انك قد قمت بعملك كما ينبغي يا عزيزي وطسن فانا اشكرك ٠ قلت دعنا من هذا فهل حصلت على الصورة . قال لا ولكن علمت اين هي . قلت وكيف علمت ذلك ٠ قال هي ارشدتني اليها كما قلت لك . قلت زدني ايضاحاً لله درُّك ٠ فتبسم وقال لا شك انك تجهل ان الفعلة والمارَّة والجيران وكل الذين رايتهم في هذه الساعة على الشارع انا استأجرتهم لتشخيص هذه الرواية وان الدم الذي غطى وجهي كان مزوَّراً ليستجلب الشفقة عليَّ ويجبر السيدة ان تنقلني الى منزلها والى الغرفة التي قدَّرتُ انها تخفي الصورة فيها لانها ملاصقة لغرفة نومها. فوضعوني على المقعد وطلبت الهوآء ففتحوا النافذة فالقيت انت الكرة النارية ومن البديهي ان الانسان اذا رأى منزلهُ يحترق يسرع بالطبع لوقاية اثمن شيء عندهُ ومعلوم ان السيدة ارين لا اثمن عندها اليوم من الصورة فهي ولا بد تسرع اول كل شيء لتخلصها ٠ وقد نجحت حيلتنا نجاحاً باهراً لان تشخيص الحريق كان طبيعيًّا وقد تم ما كنت اترقبهُ وعرفت ان الصورة محفوظة في نقبٍ وراء لوح خشبي فوق يد الجرس الذي الى يمين الباب لاني رايت ارين عند مشاهدتها النار والدخان قد اسرعت اليها فاخرجتها من مخبأها ونظرتها بعيني فلما اعلمتهم ان لا خوف من الحريق اعادتها بسرعة كلية الى مخبأها ثم خرجت

من الغرفة ولم اعد اراها . اما انا فنهضت واعتذرت عما اصابني وخرجت وقد كان بودي الاستيلاء على الصورة للحال غير انني رأيت السائق قد دخل وهو ينظر اليَّ نظر المراقب فخشيت ان افعل مايعود علينا بالخسارة وفضلت الانتظار . فقلت وماذا ترى ان تفعل الآن . قال قد اتممنا كل الاستعداد وغداً اذهب واياك والملك لزيارتها فيدخلوننا الى غرفة الاستقبال لننتظرها ولعلها لا تاتي لمقابلتنا حتى نكون قد اخذنا الصورة وخرجنا . قلت ومتى يكون موعد الزيارة . قال في الساعة الثامنة صباحاً قبل ان تكون قد نهضت من فراشها ولكن يجب ان اكتب الى الملك حالاً واعلمهُ بذلك . وكنا قد بلغنامنزل شرلوك فوقفامام بابهِ ليفتحهُ واذا بشبحٍ نحيف قد مرَّ من رصيف الطريق الثاني وقال اسعد الله مساءك يا سيدي شرلوك هولمز . ثم اخفتهُ الظلمة عنا فلم نرهُ . فوقف شرلوك هنيهةً مفكراً وهو يقول قد سمعت هذا الصوت قبل الآن فمن يكون يا ترى وقد شغل بالي

ونمت تلك الليلة في منزل صديقي استعداداً للصباح ولما نهضنا تناولنا شيئاً من القهوة واللبن واذا بملك بوهيميا قد دخل فامسك بكتف شرلوك وقال لهُ اخبرني هل حصلت على الصورة . قال كلا ولكن لي امل في الحصول عليها فيجب ان نسير الآن فقال الملك ان عربتي بالانتظار فهلمَّ بنا . ولما سارت بنا العربة قال لهُ شرلوك ان ارين ادلر قد تزوجت امس بمحامٍ انكليزي يدعى نورتون. قال ومامعنى هذا الزواج فهي لا يمكن ان تحبهُ . قال شرلوك بل اتمنى انها تحبهُ من كل قلبها فانها بذلك تنفي عنك كل خوف في المستقبل لانها اذا احبت زوجها انصرفت عن محبتك فلا يبقى خوف منها ان تتداخل في امورك . فقال الملك نعم هذا صحيح ولكن آه يا ليتها كانت من مقامي فانها كانت تكون اعظم ملكة وضع على رأسها تاج . ولما بلغنا منزل ارين وجدنا بابهُ مفتوحاً فقابلتنا عجوزٌ شمطاء وقالت بتبسم ان احدكم المستر شرلوك هولمز فاهلاً بهِ . فقال شرلوك نعم انا هو فمن اين فعرفتني . قالت قد قالت لي مولاتي انك ربما تأتي اليوم لزيارتها اما هي فقد سافرت مع زوجها في قطار الساعة الخامسة . فارتعش شرلوك وصعد الدم الى وجههِ وقال ماذا

تقولين أصحيح ان مولاتكِ قد سافرت . قالت نعم فقد تركت انكلترا ولن تعود اليها بعد . فقال الملك بصوت اجشّ والاوراق آه خسرنا كل شيء . اما شرلوك فتقدم امامنا ونحن نتبعهُ الى الغرفة المعهودة فوجدنا اثاثها مبعثراً هنا وهناك والخزائن والادراج مفتوحة مما يدل على انها اخذت ما تحتاج اليهِ منها قبل هربها . واسرع شرلوك الى مخبأ الصورة فمد يدهُ الى النقب فاخرج منهُ كتاباً وصورة وكانت الصورة صورة ارين وحدها واما الكتاب فكان معنوناً باسم شرلوك هولمز وقد كتبت عليهِ انهُ يجب ان يبقى الى ان يطلبهُ . فمزق شرلوك الغلاف واجتمعنا معاً لقرآءتهِ فاذا فيهِ ما يأتي

« عزيزي المستر شرلوك هولمز . انك في الحقيقة اتممت عملك بمنتهى المهارة حتى اوشكت ان تغلبني ولم يخامرني شيء من الريب الى ان اتممت امر الحريق فعلمت انني افشيت سري . وقد حذروني منك منذ اشهر واعلموني انهُ اذا استخدم الملك احداً فلا يكون غيرك وقد اعطوني عنوانك ووصفوا لي هيئتك ومع كل ذلك فقد جعلتني مع كل احتراسي اكشف لك ما تريد معرفتهُ .

« نعم انني بعد ان عرفت مقدرتك لا ازال اشفق على الكاهن المسكين الذي كاد يموت بسببي ولكن لا يغرب عن بالك انني أنا أيضاً ممثلة وان لباس الرجال غير غريبٍ لديّ فحالما تحققت وقوعي في شركك صعدت الى غرفتي وارسلت السائق ليراقب ما تفعل ثم لبست لباس رجل ونزلت حال خروجك فتبعتك الى ان بلغت منزلك وتحققت انني لم اخطئ في ظني. وقد تهوّرت في القآء السلام عليك قبل دخولك منزلك وخشيت ان تتأثرني بعد ذلك ولكنني توجهت توًّا الى منزل زوجي وقد رأينا الاوفق لراحتنا ان نهرب لنتخلص من عدوٍّ قادر نظيرك . فمتى زرتنا كما تنوي ستجد العش خالياً والطائر في الهوآء . اما الصورة التي يطلبها صاحبك فقل لهُ لا يهتم بها لان الذي احبهُ ويحبني رجلٌ افضل منهُ فليفعل الملك ما أراد بدون أدنى خوف من ممانعة هـذه المسكينة التي أخطأ في حقها . ولكني سأبقي الصورة لحمايتي أنا فقط ولتكون ترساً لي يقيني شرورهُ اذا أراد أن يتأثرني في

المستقبل وسأترك مكانها صورة أخرى من صوري ربما يشاء أن يحفظها والسلام »

« ارين أدلر نورتون »

ولما فرغنا من قرآءة الكتاب قال الملك ما أغرب هذه المرأة ألم أقل لكما انها كانت تكون أعظم ملكة واني لآسف أن تكون دون مقامي فان مقدرة عقلها وسرعة تصورها وغريب ذكآئها وشدة نباهتها كل ذلك كان يرفعها الى اسمى درجات العظمة لولم تستعملهُ في مآربها الشخصية وتسعَ بهِ ورآء نفعها الخاص ....

فقال شرلوك قد قلت حقًّا يا مولاي انها من درجة غير درجتك واني آسف لعدم تمكني من ان ينتهي هذا الامر على وفق مرامك . فقال الملك بل الامر بالعكس فانهُ لم يكن من الممكن ان ينتهي على احسن مما انتهى فانا اعرف ارين واعلم ان كلمتها لا تراجع وان الصورة لا خطر من وجودها عندها اكثر مما لو ذهبت طعمة النيران فأنا معترف لك بفضل لا يقدَّر واودّ ان تخبرني بماذا استطيع ان اكافئك . ثم اخذ خاتماً من الزمرد في اصبعهِ ودفعهُ اليهِ قائلاً هل تقبل مني هذا الخاتم . فقال شرلوك يوجد شيء اثمن منهُ اود الحصول عليهِ . فقال الملك قل ما هو فاعطيكهُ للحال فقال شرلوك هو هذه الصورة وأشار الى صورة ارين . فنظر اليهِ الملك بتعجب ثم قال هي لك فخذها اذا شئت . فاخذها شرلوك وبعد ان شكرهُ قال اذاً انتهى الامر واني أتمنى لجلالتك ليلةً سعيدة وحياةً اسعد ثم أخذ بيدي وسار غير ملتفت الى يد الملك التي مدها اليهِ

هذه ذكرى الحادثة التي كان يُخشى ان تودي بشرف مملكة بوهيميا وهذه هي المرة الوحيدة التي غلب فيها ذكآء امرأةٍ افضل طرق شرلوك هولمز . وقد كان كثيراً ما يهزأ بأعمال الجنس النحيف اما بعد هذه الحادثة فلم اعد اسمع منهُ شيئاً من ذلك وكان اذا تكلم عن ارين أدلر او رأى صورتها يظهر مزيد احترامهِ لها ويلقبها بالنكرة امرأة لانهُ اذا ذكرها لم يزد على قولهِ « المرأة »